آلام الصليب ومجده

عثرة الصليب

متى ١٦: ١٦-٢٣؛ ٢٦: ٣١-٣٥؛ مرقس ٨: ٢٧-٣٣؛ ١٤: ٢٧-٣١

«وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ» (١كور ١:٢٣ و٢٤).

تأليف: هيغو مكورد

قال بولس الرسول العظيم: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ...» (غلاطية ٦: ١٤). ينبثق مجد الصليب من آلام الصليب. حول ابن الله موته على الصليب إلى نصر مجيد.

عند الصليب تم الكشف عن محبة الله العظيمة للناس. عبر الله بكل شيء بواسطة موت ابنه. ما الذي يمكن التعبير به أكثر من هذا؟ لقد حاول الشيطان بكل ما في وسعه ليمنعنا من رؤية مجد الصليب. حاول أن يجعله مُنْفِر وسخيف في فكرنا لكي لا نقبله. إذن الاعتراف بـ«عثرة الصليب» أمر حاسم. اختار الله أن يخلصنا بالصليب، ولكن إبليس يسعى أن يجعلنا نهزأ به. إن لم نفهم «عثرة الصليب» قد يفوت علينا ما يفعله إبليس إله هذا العالم! ان سوء فهمنا لمخططاته هو بمثابة سماحنا لهذه المخططات بان تضلنا!

العظات والترانيم والكتب وأعمال الفن كلها تتردد بالصليب. إذن كيف يمكن ان تشكل فيه عثرة؟ يتحدث البعض عن «يسوع الطفل المحبوب» أو «إنسان لا عون له يموت على الصليب» ويرون يسوع بانه «إنسان غير مؤذي». لقد جعل هذا قصة الصليب تبدو وكأنها قصة ملفقة للتضليل. لقد نزعت الكرازة الشائعة القسوة والدم والوحشية الملازمة للصليب، لقد جعلت الصليب بلا ألم، ونتيجة لذلك بلا تأثير.

الصلب هو وسيلة موت مذلة إلى حد لا يمكن التعبير عنها. يكاد أن يكون مستحيلاً علينا أن ندرك آلامه. نضع الصليب في مبنى الكنيسة. نعتبره جميل ومنَمَّق. ولكن الصليب ليس مجرد «تصميم مناسب»، وليس مجرد «قصة ذات معنى» يمجد الناس الصليب بينما يفوت عليهم معنى موت يسوع. لا يحكي الصليب قصة وجدانية، بل يخبر بموت ابن الله التاريخي من أجل خطايا الإنسان.

نحن نحب الحياة، والصليب رمز الموت. نرغب في النصر، والصليب يبدأ بالإنهزام. نطلب السلام، والصليب هو نتيجة حرب. نحب الجمال، والصليب قبيح. يختلف الصليب تمام الاختلاف عما يسعى إليه البشر. يعترض المنتقدون ويقولون «كيف يمكن أن يكون الله كما هو عليه!» ومع ذلك هو الله، منذ الأزل إلى الحاضر وإلى الأبد! كالإله البار الوحيد اختار لابنه أن يحمل خطايانا بموت مؤلم على الصليب.

شدد يسوع على تلاميذه بانه سيسبب عثرة (متى ١٦: ١٦-٢٣؛ ٢٦: ٣١-٣٥؛ مرقس ٨: ٢٧-٣٣).

استخدم المسيح كلمة يونانية تعني «يرتد» قائلاً ان أتباعه سيتعثرون به (مرقس ١٤: ٢٧-٣١؛ يوحنا ٦: ٦٠ و٦١). كان الناس قد تعثروا بيسوع وبموته على الصليب! لم يستطيعوا أن يروا كيف يمكن لمجرم مصلوب أن يكون مخلصهم. يكاد أن تكون كلمة «صليب» في المجتمع الروماني المهذب بذاءة، وكان يتم تجنبها في الأماكن العامة. كانت فكرة صلب يسوع أكثر مما يستطيع بطرس فهمها. فحاول أن يحمي يسوع من ذلك. اهتاج بطرس. نحن لا نريد أن يتعامل الله مع المسائل بطريقته! كان بطرس يعرف نص العهد القديم الذي يصور الخشبة (الصليب) كلعنة (تثنية ٢١: ٢٣؛ أعمال ٥: ٣٠؛ راجع غلاطية ٣: ١٣)، لم يرد ليسوع أن يقاسي مثل هذا الموت.

كان رد فعل يسوع لبطرس سريع وحازم، إذ وصفه بشيطان (متى ١٦: ٢٣). يستطيع الناس أن يوبخوا أعدائهم ولكنهم لا يعرفون كيف يوبخوا أصدقائهم. لقد أنبه يسوع قائلا له أن يغرب عن طريقه لأنه ذاهب إلى الصليب.

كان الصليب أرض المعركة بالنسبة ليسوع «نزل منه العرق كالدم» في بستان جثسيماني وصلى لكي يجد الله طريق آخر إذا كان ذلك ممكناً (لوقا ٢٢: ٤٠- ٤٤). ولكن لم يكن هناك طريق آخر غير الصليب.

لم يستحي بولس بالإنجيل (رومية ١: ١٦). هل نستحي منه انت؟ تكون التجربة دائمة هي تغيير الصليب، أي التقليل منه. لم يتحدث بولس عن «عثرة الصليب» الصليب في غلاطية ٥: ١١ فحسب، بل كشف عن المسيح أيضاً بانه «حجر عثرة» (رومية ٩: ٣١-٣٣). وعلم أن الصليب حجر عثرة لليهود وجهالة للأمم (١ كورنثوس ١: ١٧-٢٥).

لن نفهم الخلاص الذي أتى به يسوع الى ان نفهم الصليب. قال الله عند الصليب أن الطريقة الوحيدة للانتصار على الخطيئة هي بالحكم العادل على الخطيئة. إذا لم يكن للصليب شأن، فليس هناك ما له شأن!

ربما لا يوجد على الأرض شيء أكثر إثارة للجدل والعثرة والانقسام مثل الصليب. لم يجعل شخص ما الناس أكثر غضباً من يسوع، وما زال يغضبهم!

الصليب عثرة للناس لأن الله هو الذي على الحق وليس الإنسان هو الذي على حق. (١) الله على الحق لأن مشكلتنا هي الخطيئة. (٢) الله على حق لأن الحل الوحيد للخطيئة هو الصليب! الخطاة ضالين بلا رجاء ومصيرهم جهنم. وهذا يجعلنا نتعثر. باننا ضالين إلى حد نحتاج فيه إلى الخلاص. لا يريد الخطاة أن يعرفوا آثامهم ولا أن تُذْكر لهم. القول باننا خطاة يتعارض مع قلوبنا المتكبرة والأنانية والعنيدة و الخاطئة. مات المسيح لأجل الفُجار، أي لأجل الخطاة (رومية ٥: ٦-٨). ونحن جميعنا خطاة!

الصليب عثرة لأن الخطاة لا يستحقون الخلاص ولا يستطيعون استحقاقة والحصول عليه مقابل المال. نرى هنا عثرة النعمة! لا يقدر الإنسان أن يخلص نفسه. ولكن ما كان يطالب به العدل وفرته النعمة. لقد دفع يسوع الثمن بالكامل. يكون الإنسان الخاطيء بلا عون إلى الأبد من غير يسوع! لا يستطيع الإنسان أن يتصور الصليب ولا يستطيع تفسيره - بل يؤمن به بتواضع فقط. وهذا عثرة لنا.

الصليب عثرة لأننا لا نستطيع أن نستجيب إلى الله بـ«طريقتنا». قال يسوع: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يوحنا ١٤: ٦). كلامه هذا صارم وضيق ومقصور {لفئة معينة} وقليل التحمل لغيره ومدين ... ولكنه حقيقة. مثل هذا الكلام مسيء (راجع أعمال ٤: ١١ و١٢). هل نسعى إلى إرضاء الله أم إرضاء الناس؟ (يوحنا ١٢: ٤٢ و٤٣؛ أعمال ٥: ٢٩). لا يستطيع أي خاطيء أن يخلص بمعزل عن يسوع. لقد حان الوقت لنضع الصليب حيث وضعه الله. الله نفسه ... وضع نفسه ... ليخلصنا ... من خطايانا!

الصليب ... ليس هناك طريق آخر سواه!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩